

التعذيب الفرنسي للجزائريين في السجون والمعقلات من خلال كتاب

"الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية" للدكتور عبد الله شريط

د. عبد القادر فكاير

جامعة خميس مليانة

استخدم الاستعمار الفرنسي في الجزائر خلال ثورة التحرير 1954-1962 مختلف أساليب القهر والتعذيب ضد أبناء الشعب الجزائري، وخاصة في السجون والمعقلات ومراكز التعذيب التي كانت موجودة في مختلف مناطق البلاد، وذلك بهدف خنق روح الثورة والقضاء على كل صوت يقف في وجه الاستعمار. وقد تعرضت كثير من الصحف الفرنسية إلى هذه السلوكات مثل صحيفة "فرانس أوبسيفاتور"، و"ليبيراسيون"، و"أوبسيفاتور" و"لوفيفارو"، و"كانديد". كما أن هذه الصحف قد نقلت شهادات بعض الجنود الفرنسيين عبر رسائل كانوا يرسلونها إلى ذويهم في فرنسا. نتناول مقتطفات مما جاء في هذه الصحف من خلال العمل الموسوعي "الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية" للدكتور عبد الله شريط.

1. صحيفة "فرانس أوبسيفاتور" وقضية التعذيب في

الجزائر(16/01/1955):

يقول الصحفي كلود بوردي (Claude Bourdet): ((منذ أن ظهرت اضطرابات الثوار في الجزائر عادت أعمال "الجستابو" فيها إلى نشاطها بكل حرارة. وفي هذه الساعة الراهنة أصبحنا نملك مجموعة معلومات مستندة على أن أعمال 1950-1951 قد تكررت مرة أخرى، بل تجاوزت

ما كانت عليه في السابق)). فبعدما ذكر بوردي بعض أساليب التعذيب التي كان يتعرض لها المعتقلين والمساجين الجزائريين، مثل التعذيب بالماء والكهرباء والتعذيب بالجوع والتعذيب بالقارورة أو العصا وعصب البقر، قال: ((وكل هذا يفسر لنا لماذا لا يسلم مسجونيه إلى قاضي التحقيق إلا بعد خمسة أو عشرة أيام. إن هذا خرق فظيع للقانون ، الذي ينص على وجوب تسليم المتهم إلى القاضي بعد إلقاء القبض عليه بمدة أربعة وعشرون ساعة على أكثر تقدير. وذلك لمنع تسليط أي عذاب أو ضغط عليه من طرف البوليس. وكان البوليس ورجال القضاء في الجزائر يجدون الحجة؛ وهي كثرة المتهمين وقلة أفراد الشرطة. ولكن الملاحظ أن المساجين يبدأ تعذيبهم منذ اليوم الأول . وبعد أن يتمكن البوليس من الحصول من ضحيتهم على الاعتراف الذي وقع لهم عليه، وهو نصف ميت يقضي بقية أيامه في إدارة البوليس لمعالجته، حتى يكون على وضعية سليمة عندما يتقد إلى القضاء.

ولما كان البوليس يخشى أن يتراجع المسجونون أمام القاضي فيما سبق الاعتراف به ، فإن البوليس هو الذي يأتي بمسجونيه إلى المحكمة ثم ينتظره بنفسه ليعود به إلى السجن بعد التحقيق . وان الطريقة المتبعة بهذه الصورة مجهولة لتحذير المتهم بأنه ستسلط عليه أنواع أخرى من التعذيب إذا هو تراجع أمام القاضي.))

ثم يعلق الكاتب على هذه التصرفات فيقول: ((إن كل هذه الأمور لا يمكن أن تكون لو لم يتم فيها التعاون بين الشرطة و"العدلية" في الجزائر. فالقضاة الذين يمارسون هذه القضايا مختارون . فكانوا يجرون تحقيقهم مع المساجين في الساعة السادسة صباحا أو الثامنة ليلا، حتى لا

تراهم العيون الفضولية. وكانوا يخفون على المساجين إلى أقصى أمد ممكن، إن محاميهم من باريس قد حضروا. وهؤلاء المحامون يجب أن يخفى عنهم أيضا جميع آثار التعذيب. بل إذا أمكن فإنهم يبحثون المتهمين في أغلب الأحيان بدون حضور المحامي. ويرفضون أي تحقيق طبي حول التعذيب، أو يكتفون بتحقيق طبي خاص ويرفضون قبول أي تحقيق طبي حول التعذيب أو يكتفون بتحقيق طبي خاص، ويرفضون تحقيق معاكس من غيره.

وقد عومل بهذه المعاملة "مولاي مرياح" الكاتب العام لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية الذي ألقى عليه القبض يوم أول نوفمبر، ولم يسلم إلى حكام التحقيق إلا في اليوم الخامس منه. ولم تتمكن محاميته من مقابله إلا في اليوم التاسع من الشهر المذكور. وقد فهمت كل ذلك عندما حدثها عن التعذيب الذي سلط عليه وأراها جراحه في جسمه، وكان بعضها ما يزال مفتوحا، والبعض الآخر لم يندمل إلا قليلا. بينما حارس السجن فقد أكد لها أن السجين قد أوتي به إليه على هذه الصورة. وعندما تقدم الدفاع انتدب القاضي طبيبا اختاره هو ليفحص السجين، وقرر الطبيب أن الرجل في حالة جيدة.))

يوصل الصحافي حديثه فيقول: ((وهذه بعض الحالات من مجموع حالات أخرى كثيرة وقع الحديث عنها ولكن لم تتأكد بعد. ونعرف قصصا أخرى معينة ولكننا لا نستطيع أن نتحدث عنها في الوقت الحاضر نظرا لأن عائلات أصحابها يعيشون تحت الرعب الفاشستي في الجزائر. وإذا ما أرادت الحكومة أن تقوم بمهمتها فإنها تستطيع أن تجمع أكداسا من ملفات الجرائم البوليسية.))

أما القمع المسلط في جميع أنحاء الجزائر . وحتى ولو كان المقصود به هم الإرهابيون فإن ذلك لا يبرره. فالإرهابيون الجزائريون مهما كانت الأعمال التي قاموا بها حقيقية أو خيالية كما تصورها الصحافة الفرنسية ، فإنهم ليسوا إلا مقاومين من أجل مواطنيهم كما كان مقاومونا نحن بالنسبة إلينا . ومهما يكن الأمر فإن إجرام التعذيب البوليسي بلغ فظاعة يحمر لها خجلا وجه كل فرنسي.

وأضاف الصحافي أن التعذيب قد نال السياسيين من الحركة الوطنية الجزائرية ممن لم يبرحوا منازلهم قط أكثر مما نال المقاومين الذين اعتصموا بالجبال. وهكذا يضطرون لمغادرة بيوتهم والذهاب إلى الجبال ، وبذلك تصبح أعمال القمع هي التي تمون المقاومة بالجبال الذين ما كانوا ليلتجئوا إليها لولا هذا القمع .

وذكر الصحافي أن في السجون وتحت ضربات التعذيب عادت الوحدة الوطنية الجزائرية إلى مجراها السابق، وهذا بطبيعة الحال ليس في مصلحة الوصول إلى اتفاق.))

وفي ختام المقال ذكر الصحافي: ((إذا أرادت هذه الحكومة الفرنسية أن تضع حدا حقيقيا لأعمال التعذيب وأنواعها فينبغي أن تقدم على ما لم تستطع أن تقدم عليه حتى الآن لا هي ولا غيرها من الحكومات السابقة. وهو رفع ستر الصمت السميكة والانتهاز من إرسال الأوامر المتخفية التي تنتهي إلى سلة المهملات. وأن تعتمد على الشعب الفرنسي وقسم من الفرنسيين الجزائريين أيضا، وتعلن بصوت جهوري إنذارا حقيقيا وتبعث إلى الجزائر بلجان تحقيق برلمانية من الأحزاب. وأن تعلن على العقوبات الصارمة ضد جميع الذين يسלטون التعذيب على

المساجين. هذا هو الواجب الآن . ولكن الذي يتحمل المسؤولية عن تلك الأمور هما السيد. منديس والسيد. ميتران أمام الرأي العام وأمام التاريخ. وأن الرأي العام العالمي قد بلغته هذه الأمور، وسيكون أكثر علما بها في المستقبل.)) (شريط، ع:ج:1: 44 - 49).

2- صحيفة "ليبيراسيون" وسياسة الإعدام في السجون في عهد

لاكوست (1957/02/16):

افتتحت الصحيفة في العدد الصادر في تاريخ 1957/02/16، مستنكرة سياسة تنفيذ الإعدام على الجزائريين، فذكرت أنه كل يوم تصلها الأنباء عن عمليات تنفيذ الإعدام بالسجون . وأن السلطات الفرنسية كانت تقتل من الثوار كما كانت تسميهم بمعدل مائة في اليوم الواحد ، وذلك بواسطة القوات التي كان يطلق عليها "قوات الأمن". وذكرت أنها كانت تتلقى يوميا الأنباء عن إلقاء القبض على المحامين الجزائريين ، ومن كبار الشخصيات ، مثل علي بومنجل الذي كان يحظى بعطف واحترام جميع أجهزة المحاكم في مدينة الجزائر. وحسب الصحيفة دائما أنه يوميا كان يوضع في المحتشدات الجزائريون الذين كانوا يخضعون لتدابير تعسفية وعمليات استفزاز وتعذيب بوليسي متوحش أصبح اليوم -يا للعار- داخلا في الأساليب العملية التي يتبعها.

وذكرا أنه في عهد لاكوست كان الإصرار على تنفيذ حكم الإعدام في أكثر من مائتين من المقاومين الجزائريين الذين صدرت عليهم الأحكام في أغلب الأحيان بدون ثبوت أية تهمة إثباتا بالحجة . (شريط، ع:ج:1: 113 - 114)

3. صحيفة "أوسيرفاتور" وسياسة الإعدام في السجون في عهد

لاكوست:

ذكرت الصحيفة أنه في عهد لاكوست قد نفذ حكم الإعدام على ستة عشر جزائرياً خلال الأيام ما بين 3 فيفري و12 منه ، بالإضافة إلى عدد آخر لقي نفس المصير بعد هذا التاريخ، ثمانية منهم في قسنطينة وخمسة في وهران وثلاثة في مدينة الجزائر. وكان من بين هؤلاء الستة عشر رجل فرنسي يدعى فرنان ايفيتون الذي اتهم بوضع قنبلة في معمل الغاز الذي يعمل فيه ، في 14 نوفمبر 1956 ، وذكرت الصحيفة أنه أول أوربي ينفذ فيه الإعدام لأنه ساهم في الثورة. ثم علقت على هذا الحدث أن الحكومة الفرنسية بهذا السلوك تريد أن تبين أنها لا تتبع في الجزائر سياسة عنصرية، وأن المصير واحد لجميع الثوار مهما كان أصلهم واتجاههم. ثم راحت الصحيفة تحلل قضية إعدام هذا الفرنسي، فقالت أن إعدام هذا الأوربي كان سببه في حقيقة الأمر اتهامه بالشيوعية لا أعماله الإرهابية التي نسبت إليه. وذهبت الصحيفة أن سياسة التمييز كانت موجودة حتى بين الفرنسيين أنفسهم، حيث أن الأوربي المتهم برمي قنبلة على الجنرال سالان وقتل من جرائها الكومندان "رودياي لم يبت شيء في أمره ، بخلاف "إيفاتون" الذي لم تتسبب قنبلته في قتل أحد فقد أعدم شنقا. ثم تعود الصحيفة للتعليق على إعدام الستة عشر من الجزائريين ، فذكرت أن ذلك كان نتيجة لمساعي لاكوست التي قام بها في باريس في المدة الأخيرة. حيث حصل من رئيس الجمهورية الفرنسية بعد عدة مقابلات هي مراجعة موقفه من "التسامح القديم" ، وأن هذه السياسة قد أزعجت المعمرين الفرنسيين في الجزائر. ثم ذكرت الصحيفة

أن الوزير (لاكوست) ما يزال المتكلم المخلص بلسان كافة المستعمرين في الجزائر، إنه يريد أن يحصد الرؤوس. (شريط، ع: ج. 1: 115 - 117) 4. وصف أحد المحتشدات في صحيفة "لوفيفارو" (1959/7/21)

يقول الصحفي الفرنسي بيير ماكيني يصف أحد المحتشدات فيقول: ((في بعض مراكز التجمع لا يجد المقيمون ما يسدون به الرمق، ولن أنسى بسهولة تلك الأيدي التي بلغ من هزالتها أنها أصبحت شبيهة بعيدان رقيقة، وتلك الأوجه المتخوفة، والحدود الغائرة.))

ويصف مركز بسمبورغ، فيقول أن عدد الجزائريين الموجودين فيه بلغ 2774، لم يتقدموا من تلقاء أنفسهم إلى السلطات الفرنسية طالبين حمايتها من الثوار ولكنهم أجبروا - لأسباب تكتيكية عسكرية - على التخلي عن قريتهم. وهي قرية الزيابرة - الموجودة في منطقة محرمة وجمعوا بالرغم عنهم في - بسمبرغ - بالقرب من بلدة القل.

يقول بيار ماكيني: ((إن سكان مراكز التجمع لا يستطيعون أن يستثمروا بواسطة الحرث والزرع أراضيهم الموجودة في المناطق المحرمة. وهم إلى هذا لا يملكون أي مورد. ومن جهة أخرى فإن مركز بسمبورغ، لا توجد فيه أية قطعة من الأرض وضعت تحت تصرف السكان الذين أجبروا على مغادرة أراضيهم. وأن السبب الذي تذرعت به السلطات الفرنسية لإجلاء هؤلاء السكان يتلخص في أن قرية الزيابرة توجد في منطقة محرمة، وقد حددت القيادة الفرنسية المعنى الذي ينبغي أن يفهم من المنطقة المحرمة إبان إنشائها وهو: المنطقة التي يمكن أن تكون هدفا لقنابل الطائرات ليلا ونهارا، لتعطيم كل شيء يتحرك، لكن القيادة

الفرنسية أنكرت منذ أسبوع في ردها على أحد بلاغتنا ، وجود مثل هذه المناطق. وذلك يظهر لمن لم يعرف بعد ، نوع التكذيب الفرنسي (...))
ويقول بعد ذلك مقال لوفيفارو: ((أن ثلث أولئك السكان أي 923 يعيشون الآن في منازل مبنية بأحجار بنيت بفضل إعانة مصلحة الإسكان الريفي. أي أنه في هذا المركز 47 دارا بها معدل عشرين شخصا في الدار الواحدة. أما بقية السكان فهم يعيشون في 123 خيمة و157 كوخا، أي أنه يوجد في كل خيمة وكل كوخ أكثر من عشرة أشخاص.
ومن بين سكان هذا المركز يوجد 1860 طفلا، واعترف الصحافي بأن من بينهم عددا كبيرا لا يستطيع الذهاب إلى مكتب لأن كل طفل لا يملك من اللباس إلا بقايا قميص لا يكاد يستر عورته.
أما الغذاء فهو يتمثل في توزيع 120 غراما من السميد للشخص في اليوم . ويواصل الصحافي تحقيقه فيقول: ((يوزع نصف لتر من الحليب مرتين في الأسبوع على 250 طفلا يختارون من بين أكثر الأطفال احتياجا، أما الأطفال الباقون أي 1610 فهم يعيشون بلا حليب)).
ومنذ ثمانية أشهر تم حذف المواد الدهنية، ومنذ عام لم يوزع أي شيء من السكر ولا الحمص ولا الصابون.

وتقول صحيفة لوفيفارو: إن السلطات الفرنسية إذ توزع الأغذية بالقطرة وبكيفية ضئيلة جدا ، فلكي تتأكد أن الثوار لن يتلقوا أية إعانة من هؤلاء السكان. وهو السبب الذي جعل ما يقرب من مليونين من الجزائريين يتعرضون للاحتضار البطيء في مراكز التجمع أو بعبارة اصح في محتشدات الموت. فقد اعترف نائب عامل القل ، أمام الصحافي

الفرنسي صاحب المقال المذكور أنه لم يتحصل خلال 1959 بفرنك واحد من القروض.

ويقول الصحافي الفرنسي : أن الوفد الذي زار مركز بسمبورغ أمضى به أربع ساعات ونصف وهي مدة كافية للتأكد من إمكانية الحياة في هذا المركز. وأضاف الصحافي المذكور : لكنني عندما ذهبت إلى مكتب ديولوفريي وجدت أن تقرير هذا الوفد عن مراكز التجمع غير معروف، فلماذا.

وقد أجابت وزارة الأخبار الجزائرية: إن السبب في ذلك يرجع إلى اقتناع السلطات الفرنسية، بأنه كلما كان عدد الأموات أكثر ، كلما خف ميزانهم أثناء المحاسبات النهائية بين فرنسا والجزائر. (شريط، ع: ج.2: 199 - 203)

5. مبعوث مجلة "كانديد" يصف أحد المعتقلات (1962/3/21):

زار مبعوث الجريدة المذكورة أحد المعتقلات في فرنسا التي كان يحتشد فيها الجزائريون، وهو محتشد "تول" الذي يقع عند سفح "جورا" التي تهب منها رياح شديدة البرودة. فذكر أننا شاهدنا وراء شبكات الأسلاك الشائكة زهاء العشرين دارا التي تبني من ألواح الخشب، في هذه الدور كان يعيش منذ عدة أشهر 450 معتقلا جزائريا، ممن صدرت ضدهم أحكام تتراوح بين السجن المحدد والأشغال الشاقة، ومن بينهم عدد ممن حكم عليهم بالإعدام ثم أسعفوا بالعفو.

وبعدما تحصل المبعوث من مدير السجن عن المعلومات الأولية كما سماها هو قال: أعربت عن رغبتني في زيارة المباني والاتصال بالمعتقلين

الجزائريين، فسمح له ومن معه بدخول المحتشد برفقة دليلين جزائريين ودار بينه وبين المعتقلين حورا نسوق نماذج منه.

- **الصحفي:** أظن أن وقف إطلاق النار يمثل فرحة كبيرة بالنسبة لكم؟

- **جواب أحد الناطقين الرسميين:** بالطبع، ولكن وقف القتال لا يمثل بالنسبة لنا سوى نهاية الفصل الأول وبداية الفصل الثاني أي الثورة الجزائرية.

- **الصحفي:** هل تبقون في فرنسا بعد إطلاق سراحكم؟

- **جواب أحد الناطقين الرسميين:** لا ، إن كل واحد منهم يرفض البقاء في فرنسا ، ومع ذلك فإنهم يعيشون منذ أمد بعيد في فرنسا بل أن بعضهم له ممتلكات بها مثل هذا الذي يملك فندقا في مرسيليا والذي أقر العزم على بيعه.

- **الصحفي:** لماذا تريدون العودة إلى الجزائر؟

- **أجابوا بكلمة واحدة:** لوضع أنفسنا تحت تصر الثورة.

- **الصحفي:** ألا تشعرون بالأسف على فرنسا ؟

- **على ماذا نأسف ؟** إننا سنترك فيها البؤس والميز العنصري

- **الصحفي:** هل إنكم متأكدون من عدم الوقوع في البؤس أشد عندما تعودون إلى الجزائر؟

- **إننا نعلم أن الحياة ستكون صعبة جدا ولكننا مستعدون للمتعاب.**

- **الصحفي:** ما هو رأيكم في التعاون مع فرنسا؟

- **بقدر ما يسمح لنا ذلك التعاون تشييد الجزائر**

- **الصحفي:** وإنجازات فرنسا في الجزائر ؟
- أجبوا في لهجة ساخرة: إن كل إنجازاتكم كانت موجهة للأوروبيين
- **الصحفي:** ومع ذلك فإنكم تستفيدون منها
- لقد دفعنا ثمننا باهظاً!
- **الصحفي:** وما هو رأيكم في الأوروبيين؟
- إننا مستعدون لأن نغفر لهم كثيراً من الذنوب، وإذا عرفوا كيف ينسجمون معنا فإنهم سيحصلون على مكائهم في الجزائر الجديدة
- **الصحفي:** في جزائر شيوعية؟
- إننا سنصنع ثورة اجتماعية من نوع الثورة الكوبية، ولكن بدون أن نقع في الشيوعية، إن الشيوعية لا تتلاءم مع الإسلام.
- **الصحفي:** هل تأملون في حمل مليون من الأوروبيين على المساهمة في ثورة اجتماعية؟

- إما أن يقبلوا وإما أن ينصرفوا... (شريط، ع: ج. 3: 113 - 115)

المراجع:

- شريط، عبد الله. (1955). الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، الجزء الأول، منشورات وزارة المجاهدين.
- شريط، عبد الله. (1957). الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، الجزء الأول، منشورات وزارة المجاهدين.
- شريط، عبد الله. (1959). الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، الجزء الثاني، منشورات وزارة المجاهدين.
- شريط، عبد الله. (1962). الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، منشورات وزارة المجاهدين.